

الكتاب الأول

تأليف : **محمد ماهر قابيل**

رسوم : **محمد سعيد**



الأسد المسعور

كانت المرة الأولى التى تعرف فيها الغابة صوت إطلاق الرصاص ومعناه. كان «الأسد» نوار قد بلغ من العمر مرحلة متقدمة، وساء خلقه، وازدادت شراسته، وامتدت شروره إلي خارج الغابة فبدأ يخرج إلى حافة قريبة ليبث الرعب فى نفوس أهلها.

وتشاور بعض رجال القرية فى شأنه فقال أحدهم:

- إنه مصاب بشىء من السعار.

قال آخر:

- هل نحتاج إلى بيطرى لعلاجه؟

ضحك الجميع، وقال ثالث:

- ليس للسعار إلا الدواء الناجع.

آمن الأول على رأى الثالث قائلا:

- هذا حق. لا يشفى المسعور إلا رصاصة تطلق على رأسه.

قال الثانى مؤيدا:

- أو على قلبه. المهم أن تصيبه فى مقتل فيستريح ويريح.

سأل أولهم مستوضحا فى حذر:

- ومن الذى يقوم بهذه المهمة؟

أجابه الثالث بنبرة قاطعة:

- ثلاثتنا معا.



قال الثانى متحفظا:

- إن بندقيتى قديمة صدئة. لا أظنها تصلح.

بادر الثالث قائلا:

- لدىَ بندقيتان بحالة جيدة.

●●●

تربص الرجال الثلاثة للأسد «نوار» حيث اعتاد أن يظهر. وطال انتظارهم فقال أولهم مازحا:

- يبدو أنه علم مؤامرتنا عليه فاحتاط لسلامته.

قال الثانى مبتسما:

- ومن الذى جاءه بالنبأ؟



قال الثالث جادا:
- كفى. ها هو ذا.
وما كاد الأسد يقترب حتى عاجله الرجال برصاصهم فخر صريعا فى دمه.

●●●

وبعد مصرع «نوار» خلت الغابة للأسد «أسامة». كان أصغر قليلا من «نوار» لكنه كان فتيا كبير الحجم ممتلىء الجسم. وكان أكولا شغوفا باللحوم، يلتهمها فى نهم. كما كان كثير التجول فى أرجاء الغابة والغابات الأخرى. وكانت أنثاه «لورا» تضارعه بدانة ومهابة، فكان مرآهما أمام العرين. وزئيره من حين إلى حين كفيلين بإشاعة الخوف منهما عند كل إنسان وحيوان.

وذات يوم قال «أسامة» لزوجته:
- سأخرج إلى الغابة المجاورة غدا.
قالت «لورا» فى حزم واقتضاب:
- إن رحلات الصيد لا تنقطع عن الغابات. وليس من الحكمة أن يخاطر أحد بالسير فى دروب لا يألفها.
تساءل «أسامة» باهتمام:
- وما سر تدفق رحلات الصيد؟
أجابت «لورا» وهى تنظر إلى الأفق:
- إنهم يبيعون ما يصطادونه لينتهى به المطاف إلى حدائق الحيوان.



قال الأسد بغير إكتراث:

– وهل تظنين أنى من السذاجة بحيث أقع فى فخ؟

ردت الأنثى المحبة وقد انتقلت ببصرها إلى زوجها:

– لقد تطورت أساليبهم وتعددت. فلم تعد الفخاخ والشباك هى وسائلهم الوحيدة.

بدأ القلق يتسرب إلى «أسامة» فقال مستفهما:

– وماذا أضافوا إليها؟

قالت «لورا» بثقة العارف:

– إنهم يستعملون مادة مخدرة. وهذا سلاح لا تنفع معه شجاعة الأسود، ولا تجدى قوة

في مواجهته.

تزايد قلق الأسـد لكنه تظاهر بالاستخفاف وهو يقول:

ذلك يمكن أن يحدث هنا أيضا.

قالت «لورا» بأسف:

– إنك لن ترجع عن رأى رأيتـه. أعرف اصرارك، وأعجب فيك بروح المغامرة التى عهدتها، لكن الظروف تغيرت عن ذى قبل، أرجو أن تبكر بالعودة.

لزم «أسامة» الصمت فاحترمت أنثاه رغبته وسكتت بدورها.

●●●

سار «أسامة» مختالا فى زهو، يشعر أنه قد ملك العالم بأسره لا الغابة وحدها. يمشى منتشيا بنظرات الإجلال فى أعين الحيوانات التى يصادفها فى طريقه. والجميع يعلمون أنه لا يفترس إلا إذا كان جائعا فحسب، فإذا تناول وجبته ساد احساس الأمان المؤقت.

وعلى مسافة قصيرة من أحد الينابيع وقف حماران وحشيان يتحدثان بعد أن شربا. قال أحدهما للآخر:

– هل تعرفه؟ إنه «أسامة» سيد الغابة.

قال الحمار الآخر مستنكرا:

– من لا يعرفه؟

ثم استطرد متهكما بعد لحظة:



- ألم تتمن أن تكون أسدا؟
هز الحمار الأول رأسه مفكرا وهو يقول ببطء:
- لم يخطر ذلك لى ببال. وعلى أية حال فإن من الأفضل تحت شريعة الغاب أن تكون حمارا.
سأل الحمار الآخر وهو يتشمم العشب:
- ولماذا تؤثر أن تكون حمارا؟ لا أظن أن أحدا يريد أن يكون حمارا إلا إذا..
قاطعه الحمار الأول مستفسرا:
- إلا إذا ماذا؟
أجاب الحمار الآخر قائلا فى مرح:



- إلا إذا كان حمارا.

قال الحمار الأول بنبرة أسى:

- دعك من المزاح وقل لى: أليس من الخير فى الغابة بالذات أن تكون حمارا؟

حدق الحمار الآخر فى ماء النبع وهو يقول:

- إن كونى حمارا لا أعتدى على أحد لأتغذى به يريح ضميرى. كما أن كونى حمارا يحول بينى وبين فهم أحداث عديدة تحدث فى الغابة. وهذا يعفينى من أحزان لا حصر لها.

كان حديث الحمارين يصل إلى أذنى الأسد فلا يجذب انتباهه. وفجأة، أطلق رجلان رصاصهما عليه عند أحد المنعطفات فلم يصب. وفر مسرعا وسط الأحراش قبل أن ينالوه.

●●●

رجع الأسد إلى عرينه هاربا فاستقبلته أنثاه وقد هالها اضطرابه، ولسان حالها ينطق: ألم أقل لك؟ وتركته برهة ريثما يلتقط أنفاسه، ثم حاولت أن تواسيه بقولها: - ما الذى جرى حتى تجرى هكذا كأنك ظبى صغير يطارده وحش؟

قال الأسد بغضب للإهانة:

- لقد هاجمنى ما هو أوحش من الوحش الإنسان.

قالت «لورا» مؤمنة على حكمه:



- أعوذ «بالله».

قال «أسامة» وقد بدأ يهدأ رويدا رويدا:

- إن الوحش يقتل بأظافره وأنيابه، وربما لا يقتل إلا ليأكل. أما هذا الكائن الغريب فقد اخترع للفتك أدوات فظيعة تدمر وتمحق، وهو يقتل ظلما وعدوانا، ويقتل مخلوقات من جنسه قتلا جماعيا رهيبا.

قالت «لورا» مستطلعة:

- وكيف وقع الهجوم الغادر أيها العزيز؟

أجاب «أسامة» والذكرى تعصف به:

- كمن شخصان عند منحنى، وقذفانى بقذائف النار.

عقبت «لورا» بحنان قائلة:

ليس من العدل أن يستعينا عليك بقذائف اللهيب لو أنهما واجهاك بدونها لمزقت أشلاءهما فلا تفقد ثقتك بسطوتك وإلا اجترأت عليك النمور والذئاب.

أردف «أسامة» قائلا فى حنق:

- لا يستطيع حيوان أن يتجاوز حده معى، ولو كان الفيل ذاته.

حاولت «لورا» أن تسرى عنه بقولها:

- طبعا.. طبعا يا «حبيبى» لا جدال فى ذلك.. ولكن.

قبل أن تتم كلماتها توقفت لتنصت إلى صياح الحيوانات القادمة من كل حدب وصوب لتهنىء الأسد بنجاته، وتهتف بحياته.

وأحاطت جموع الحيوانات بعرين الأسد الذى وقف وسطها سعيدا بها، وهى تردد فى حماس صاخب:

- نفديك يا «أسامة».

وتقدم كلب إلى صخرة فاعتلاها ووقف فوقها ينبح قائلا:

- نجت الغابة بنجاتك يا مولاى.

تبادل ببران يقبعان على مقربة من الصخرة نظرتى اشمئزاز لهذا الرياء الفج، واستمر الكلب قائلا:

- ماذا تساوى حياتنا فى غيابك أيها الملك؟

بدا الأسد مسرورا بتشبيه الكلب





الذى لاحظ رضا سيده فقال:
- أنت الروح ونحن البدن، وما البدن بغير الروح إلا جيفة.
اندمج الكلب فى دوره وتابع يقول:
- أنت ولى نعمتنا، وحامى حمانا.
قال أحد النمور لآخر:
- عن أية نعمة يتحدث هذا المنافق؟ نحن نجد رزقنا فى أنحاء الغابة. الله يرزقنا وهو رب نعمتنا الذى لا نسبح إلا له، وهو تعالى حامينا الذى لا نحتمى إلا به. هل يستطيع الأسد أن يحمى ذاته من قذيفة مشتعلة يقذفه بها إنسان ضعيف؟
أجابه النمر الآخر وهو يخفض من صوته






إلى أقصى حد:
- لا عليك. نحن نتفرج فقط ولا نشارك فى هذه الملهاة.
قال النمر الأول بحسرة:
- إن ظاهرها ملهاة يا صديقى وباطنها مأساة.
رد النمر الآخر باختصار قائلا:
- لا ذنب لنا فيها على كل حال.
تابع الكلب خطابه قائلا لمليكه:
أنت الأسد الأوحد. أنت الليث الأمجد.
وبينما الكلب ينبح بدأ الجوع يتسرب إلى معدة الأسد. ولم يكن من المناسب أن يفترس رعية من رعاياه وسط مظاهر الولاء البالغ الغامر التى تحيطه. وأخذ الأسد يفكر فى تلك الحيوانات التى تمتزج لديها المذلة بالسذاجة بالخنوع بالغفلة فى خليط عجيب. ان استسلامها المطلق لسلطانه يمسخ وجودها. فهى لا تعرف العدل ولا الحرية ولا الشورى. لقد أحالتها هيمنته إلى دمى لا إرادة لها.
وبحث الأسد عن مخرج من هذا المأزق. وطال بحثه. فى حين كانت الهتافات بفدائه تقصف كالرعد حتى تكاد تصم أذنيه.
وخلف إحدى الأشجار قال ثعلب ماكر لذئب:
- أتظن أن هذه المظاهرة من قبيل



الحب؟

تلعثم الذئب مترددا وهو يقول:

- لا أدرى سمعت أبى يقول إن حب الحياة يطغى على ما عداه. فإذا وضعت الحياة فى مقابل قيمة ما فإن حلاوة الروح تفرض اختيار الحياة على حساب القيمة.

قال الثعلب وهو يزن كلماته بدهائه المعهود:

- الكلب الوفى يقاتل حتى الموت بطيب خاطر دفاعا عن صاحبه لأنه يعلى اخلاصه على حياته.

قال الذئب وهو ينظر إلى الكلب الواقف على الصخرة بازدراء:



- ليست كل الكلاب وفية.

أدرك الثعلب ما يرمى إليه الذئب، فقال معرضا بكلب الصخرة:

- بعضها يمعن فى الزلفى فقط.

ثم أضاف قائلا:

- إن المغلوب على أمره فى الغابة يبتلى بالقهر فيخضع له حتى يعتاده فيألفه إلى أن يحبه. والحب فى هذه الحالة لا بديل له إذا جاز التعبير.

غرد عصفور أزرق على شجرة قائلا لآخر أصفر:

- انظر إلى تلك الحيوانات المسكينة. كتب عليها أن تعيش تحت رحمة الأسد:

قال العصفور الأصفر مؤيدا:

- نعم ما أبأسها. فالأسد يسودها ببطشه. وكأن الأسماء كافة قد اتفقت على مسمى واحد هو الذى يتسلط ويسيطر.

قال العصفور الأزرق معلقا:

- ليتها تدرك معنى الحرية كما ينبغى أن تكون.

قال العصفور الأصفر وهو يرفرف دون أن يطير:

- بلا أجنحة.

تساءل العصفور الأزرق فى نبرة لوم مخفقة

- وهل لابد للحر من جناحين؟

أجاب العصفور الأصفر قائلا فى ود:



- أو مخالب وأسنان حادة.
استفسر العصفور الأزرق قائلا فى حيرة:
- فإن افتقد هاتين الوسيلتين؟
رد العصفور الأصفر موضحا بصبر:
- لا يبقى بعدهما أمل للحرية إلا فى القانون.
قال العصفور الأزرق كمن يتخبط:
- لكن شريعة الغاب معروفة: القوى يأكل الضعيف.
قال العصفور الأصفر بلهجة المنتصر:
- ولهذا لن يقدر للحيوانات المستضعفة أن تذوق الحرية أبدا.



حلق العصفور الأزرق وهو يقول:
- انظر. انظر إلى الأسد. إنه يحدق فى رعاياه بعينين نافذتين تضمران أمرا.
كان الأسد قد اهتدى إلى حل، فقال للجمع الحاشد من حوله:
- ما أروع حبكم لى، وما أسعدنى به.
ثم سكت والهتافات تتعالى مدوية فى الغابة من أقصاها إلى أقصاها، ثم قال وهو يتفرس فى وفود التهنئة بنجاته:
- إننى أحبكم. أحبكم جميعا.
ثم أكمل قائلا
- لكننى جائع. ويعز علىّ أن ألتهم أحدكم فى هذا الموقف الفياض بمشاعر الحب.
توقف الهتاف على الفور، وساد صمت مفاجىء ثقيل الوطأة حتى لم يعد يسمع فى الغابة كلها إلا أصوات الحفيف والخرير مقترنة بتغريد العصافير ونعيب البوم، ونظر الجميع إلى الأسد فى فزع فقال:
- ولكن حبنا المتبادل يجعلنى أساوى بينكم فى فرص الفوز بشرف التضحية من أجلى.
سكت الأسد لحظة، والحيوانات ترنو إليه مبهورة الأنفاس ثم استطرد قائلا:



– سأصعد الآن إلى هذا المرتفع الصغير لألقى من فوقه ريشة طائر فى الهواء. والذى تسقط الريشة على رأسه يكون له حظ تتويج حياته بأن آكله، عندئذ، عادت الحيوانات تهتف فى ذعر:

– باللحم، بالشحم، نفديك يا «أسامة». بالدهن، بالعظم، نفديك يا «أسامة».

وأثناء الهتاف المذعور، كان كل منها ينفخ إلى أعلى بشدة حتى لا تقع الريشة على رأسه. بينما بدا «أسامة» أشبه بسلفه، الأسد المسعور يريد أن يحصل على فريسة بأى ثمن.



الأرانب تصالح الثعالب

قال الأرنب «بارو» للأرنبة «مانى» وهما يعدوان فى جنوب الغابة:

- ما أجمل أحراشنا، وما الذ العشب الأخضر اليانع.

ردت «مانى» بأسف:

- نعم. يا لها من نعمة سائغة!!

ثم زفرت زفرة حارة، وأردفت قائلة:

- لكننا معشر الأرانب نعيش فى الغابة عيشة مهددة لا أمن فيها ولا أمان ولا اطمئنان.

قال «بارو» وهو يغالب حزنه:

- حقا يا «مانى» نحن فرائس سائغة لكل ذى ناب وظفر.

احتجت «مانى» قائلة:

- نحن مطمع الوحوش والجوارح دائما.

قال «بارو» بمرارة:

- شريعة الغاب يا عزيزتى.

عقبت «مانى» بقولها:

- القوى يأكل الضعيف.

أمن «بارو» على قولها وهو يهمس متألما:

- ونحن مستضعفون إلى الأبد.



إرادية اعتادتها وقالت:

– نحن نعتمد على سرعتنا فى الجرى لنهرب من أعدائنا لكن كثرة الأعداء فاقت قدرتنا على الفرار.

قال «بارو» وهو يمد أذنيه ليسمع ما تحمله الريح من أصوات:

– قد يكون تجنب المواجهة من الحكمة أحيانا إلا أن وصمة الجبن التى يصمنا بها الجميع تشعرنى بمهانة لا حد لها.

واسته «مانى» قائلة:

– هون عليك. لست وحدك. إنها مصيبة أجناس بأسرها.

تساءل «بارو» محاولا التماس العزاء



تساءل «بارو» محاولا التماس العزاء بقوله:
– أية اجناس تقصدين؟
أجابت «مانى» قائلة بلطف:
– مثل الماعز والغزلان وحتى الجاموس.
قال «بارو» معلقا:
– إن كبر حجمها لا يحميها من المصير الرهيب.
قالت «مانى» برقة:
– لا تنس أننا نتكاثر بأعداد هائلة.
قال «بارو» باستخفاف:
– هل تعزنا كثرتنا؟
أجابت «مانى» بتحفظ قائلة:
– ليس بالضبط لكنها على الأقل تنقذنا من الفناء.
قال «بارو» بغضب حقيقى:
– الفناء أحب إلىّ من حياة كهذه التى نحياها.
ثم سكت برهة، استطرد بعدها قائلا:
– متى كانت لكثرة الجبناء قيمة؟ إن الشجاع الواحد خير من جبناء بلا حصر.
ردت «مانى» فى هدوء بقولها:
– إن الصفات المعنوية يا «بارو» كالصفات المادية. فالشجاعة والجبن والثبات والتردد كالسرعة والبطء والقوة والضعف. هبات طبيعية للكائنات تتفاوت فيها كما تتفاوت فى



ونظرت إليه لترى أثر كلامها عليه، وهى تتابع قائلة:

- إن السلحفاة بطيئة جدا لكنها معمرة يصونها درعها الواقى الممنوح لها ربما كتعويض ملائم.

قال «بارو» مكتئبا:

- إحساس الهزيمة يعذبنى.

اصطنعت «مانى» المرح، وهى تقول:

- وعلى من تريد أن تنتصر؟

أجاب «بارو» بانفعال قائلا فى صوت أقرب إلى الصياح:

- على الذى يعتدى. على الذى يقتل. على حياتنا المنكسرة.

حياتنا المنكسرة.

سألته «مانى» مستجيبة لثورته:

- تريد أن تنتصر على الحياة؟

رد الأرنب محتدا:

- ولما لا؟ ألست حيا؟

أجابته الأرنبة بسؤال ذكى:

- أليس من الأفضل أن تصالحها؟

قال «بارو» وهو ينظر إلى بعيد متأملا:

- يبدو أن الصلح ليس خيرا فى كل الحالات.

كانت الغابة تبدو بهية فى ثوبها الأخضر القشيب، وكان النسيم العليل يتهادى ليداعب الغصون والأوراق بحنانه المعطر، وكان تغريد الطيور الملونة يسبح لخالق الكون حرا طليقا فيتجاوب مع خرير الجداول الجارية بمائها العذب النقى. كانت الطبيعة تعزف لحنها الأصيل فى تناسق بديع. فانشغل الأرنبان أو تشاغلا عن همومهما بالجرى واللعب.

●●●

ومضت الأيام بالأرانب المستباحة من سيء إلى أسوأ حتى جاءت شراذم الثعالب من كل ناحية فاستوطنت الغابة، وطاب لها مذاق لحم الأرانب فأخذت تلتهمها فى نهم. كانت الثعالب مختلفة الأشكال. فقد أتى بعضها من الشرق حيث الطقس الدافيء المعتدل،





بها البرد والجوع إلى الغابة الشرقية، وقدم بعضها من الغرب حيث لفظته الأرض التي ضاقت بخبائثه وشروره، ووفدت البقية الباقية من الجنوب حيث القحط والجدب.

تباينت الثعالب فى كل سماتها إلا أنها اتفقت على غرض واحد دنىء هو أن تزعم أن لها حقا فى الغابة بدعوى أن قلة من الثعالب كانت تقطنها فى العصور القديمة.

وكانت الثعالب داهية فاتكة، روعت الأرانب، ونكلت بها، ومزقتها شر ممزق، وشردت ما بقى منها ذليلا مطرودا فى أطراف الغابة.

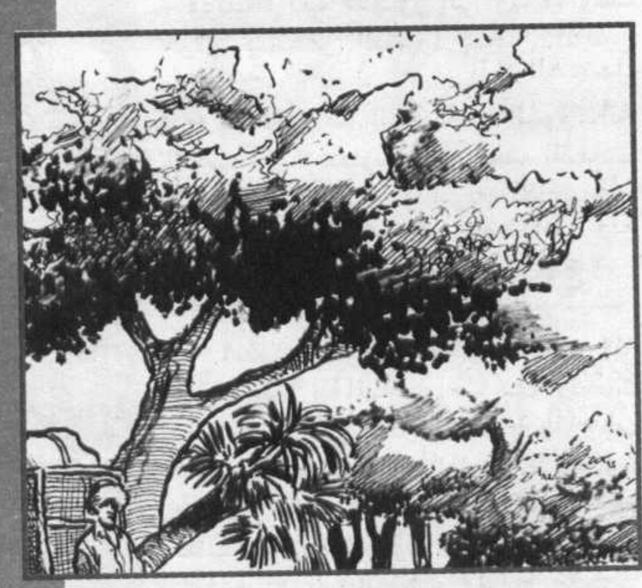
وذهبت الأرانب تشكو إلى الأسد فاستعلى



وذهبت الأرانب تشكو إلى الأسـد فاستعلى عليها، ولم يهتم بها.
وراحت الأرانب تشكو إلى الفـيل فأعرض عنها، وانصرف يقود قطيعه إلى مورد الماء.
وسعت الأرانب تشكو إلى البـبر فلم يفهم - لفرط غبائه - شكواها، ولم يعن بها.
ورفـعت الأرانب شكواها إلى النمـر فاستهزأ بها، ولم يرد عليها.
وحتى الذئب قصدته الأرانب تشكو إليه الثعالب فافترس الوفد الشاكى قبل أن يعرض مظلمته.
ويئست الأرانب من الشكوى، وظلت تكتوى بنار ويلات الثعالب الغادرة التى لا ترحم، وكانت الأرانب الكبيرة تفتش بدأب عن الخيوط الدقيقة بين الشجاعة والحماقة، والحكمة والجبن، ولكن.. هل تستطيع الأرانب حقا أن تدرك بغريزتها الفطرية تلك الخيوط؟

●●●

- لابد من المقاومة.
صاح تلك الصيحة أرنب صغير اسمه «أورا» فسرت فى سائر الأرانب سريان الروح فى الجسد. وتحمست أرانب كثيرة للفكرة ولكن.. كيف تقاوم الأرانب الثعالب؟ إن القوى غير متكافئة. وحاجز الخوف عند الأرانب لم يبن على فراغ. ولم تعط الطبيعة



لعجزها عن القتال.

وتنادت الأرانب فى أركان الغابة تدعو إلى تجمع عاجل لا يحتمل التأجيل أو التأخير.

●●●

وعلى شفا جدول رقراق يشق مجراه شمال شرق الغابة اجتمعت الأرانب فى حشد كبير تناقش قضية البقاء. كان عددها هائلا، وكانت تنتشر انتشار الجراد فلا يكاد البصر يدرك مداها أو يميز فيها بين الأجداد والجدات والآباء والأمهات والأحفاد والحفيدات، وكانت الطيور على الغصون ترقب المشهد المثير فى فضول.

ووثب أرنب عجوز إلى ربوة، وقف فوقها



ووثب أرنب عجوز إلى ربوة، وقف فوقها يتفحص العشيرة بعينين كليلتين ثم قال:

– تعلمون ما التقينا له اليوم، انه لخطب دونه خطوب، لقد بغت الثعالب فى ديارنا تطاردنا وتفترس منا.

سألت بعض الأرانب:

– ما اسمك؟ ما اسمك أيها الأخ؟

أجاب الأرنب المتحدث بأدب:

– اسمى «سيجى» قضيت العمر كله فى غابتنا الغالية. ولدت بها ونشأت وترعرعت. عاشرت أهلها وتزوجت منها ورأيت فيها أبنائى وأحفادى، وخبرت نوائبها فلم يمر بى قط مثلما نعانيه الآن من غزوة الثعالب.

تقدم الأرنب الصغير «أورا» مخترقا الزحام الكثيف بصعوبة حتى اقترب من الربوة التى يقف عليها «سيجى» وقال له:

– وهل ترى يا سيدى بدا لنا من المقاومة؟

أجابه «سيجى» بحنكة المجرب قائلا:

– المقاومة يابنى ليست كلمة. تقال: المقاومة خيار فادح التكلفة لا قبل لنا به. وأن أقدمنا عليها فلن نجنى منها إلا مضاعفة خسائرنا، وربما أفضت بنا إلى هلاك شامل.

ثم تمهل لحظات ليعى وقع كلامه على «أورا»، واستمر بعدها قائلا



– ولا يخفى على فطنتك أننا مجرد أرانب.
قال «أورا» بثقة:
– إن العجز ينبع من العقل، والضعف يبدأ من القلب. انظر معى أيها الأب الوقور إلى منطقة من مناطق الغابة فى شمالها الأوسط خرجت منها الثعالب ذليلة بعد أن منيت فيها بهزيمة.. أن تلك الشراذم الخسيسة يا سيدى ليست كائنات أسطورية ساحقة.
رد «سيجى» قائلا:
– لكن عشيرة الشمال الأوسط ليست من الأرانب.
سأله «أورا» بلهجة مهذبة:
– ألا ترى معى أيها السيد المبجل أن مأساتنا فى كبرائنا؟ أن الميل إلى المهادنة



مأساتنا فى كبرائنا؟ أن الميل إلى المهادنة بأى ثمن كان ولو على حساب الحق هو علة انتهاكنا.

قال «سيجى» وهو يزن ألفاظه:

- إن قيادة الأرانب لا تولى إلا للأرانب.

ثم أردف قائلا فى تؤدة:

- هل تنتظر أن يقود الأرانب فهد؟ هل تتوقع أن تسلم الفهود قيادتها لأرنب؟

وأغراه انصات الأرانب بأن يشرح وجهة نظره فقال:

- إن القائد لا يكون إلا من جنس المنقاد. وإذا كانت الأرانب قد جبلت على الخوف فليس ذلك ذنب قادتها.

مرق «بارو» بين الصفوف المتراصة إلى أن صادف حجرا على سفح الربوة التى يعتليها «سيجى» فقفز فوق الحجر برشاقة وقال لـ«سيجى»:

- وماذا ترى يا سيدى الحكيم؟

أجابه «سيجى» فى رصانة:

- العاقل لا ينطح الصخر، والعصفور لا ينازل الصقر.

قال «بارو» وقد أخرجه الملل عن طوره:

- دعك من سبك البيان وقل لى بصريح اللسان: ما العمل؟

رد «سيجى» رده المعد سلفا قائلا:

- الرأى عندى أن نصالح الثعالب.



كمطرقة، فلم ينبس أحد ببنت شفه بينما انفجر «أورا» قائلا:

هذا مستحيل.

وقال «بارو» بإباء:

- تنح عن الربوة ياحكيم فقد علمنا حكمتك.

تماسك «سيجى» قائلا:

- الأرانب يابنى لا تفاضل بين بديلين، الأرانب لا تستطيع أن تحارب فليس أمامها إلا أن تصالح.

قال «أورا» بازدراء:

- وماذا يكون صلح الثعالب على الأرانب؟

أجاب «سيجى» وهو يتظاهر بالحلم قائلا:



أجاب «سيجى» وهو يتظاهر بالحلم قائلا:

– الصلح على كل حال خير.

اندفع «بارو» يقول:

– إلا صلح الوحش على الفريسة. إلا صلح المجرم على الضحية. إلا صلح السارق على المسروق. إلا صلح الخاطف على المخطوف. إلا صلح الذئاب على الغنم.

كان صوته يتهدج، حاول «سيجى» أن يحتوى الموقف قائلا:

– ياولدى.. الحق لا..

قبل أن يتم كلماته قطع استرساله منظر ثعلب ضخم يندفع كالسهم خلف أرنبة سمينة تعوقها بدانتها عن سرعة العدو. وتحولت العيون إلى متابعة المطاردة الشنيعة لكن الأرانب جمدت فى أماكنها بلا حراك كأنما شلت جميعها بلا استثناء. وما هى إلا برهة حتى لحق الثعلب بفريسته فهوى عليها يمزقها شر ممزق ويلتهمها فى شراهة.

وخيم الذهول على الأرانب، وساد بينها صمت مطبق، كان بعضها مغمض العينين كالميت، والبعض يفتحهما فى بلاهة كالمعتوه.

«سيجى» وحده فقط هو الذى تملكه الزهو والارتياح إذ رأى فى مصرع الأرنبة وسيلة أيضا لدرس شاء أن يعلمه للعشيرة.



إلى فكرة الصلح بينما رفضها الأحفاد والحفيدات بشدة.

بعد طول شد وجذب قررت أغلبية الأرانب أن تعقد صلحا مع الثعالب. كانت الثعالب قد صارت أمرا واقعاً فى الغابة، فلم يبق إلا أن تستسلم له الأرانب، ورأت الأغلبية أن الصلح لا يفيد الثعالب لأنها لا تحتاجه لكنه قد ينقذ الأرانب من أهوال لا توصف.

ويل الصواب من الأغلبية، إن رؤيتها لا تحالفه فى العديد من الحالات لكن البديل لذلك هو الاستبداد وهو شر ما تبتلى به الجماعات.

●●●

وذهب وفد الأرانب برئاسة «سيجى» إلى



●●●

وذهب وفد الأرانب برئاسة «سيجى» إلى وكـر الثـعـالب يطلب الصلح. واستقبلت الثعالب الوفد الأبله مرحبة مشتهية مستهزئة، واحتملت الأرانب الرائحـة الكريهـة المنبـعثـة من وكـر الثعالب على مضض.

قال ثعلب لئيم اسمه «كاها»:

– إذا أردتم الصلح فـلا مـانع لدينا ولكن..

قالها وتعمد بترها ليزداد القلق فقال «سيجى» بخشوع:

– لكن مـاذا يا سـيـدى الثـعلب المحترم؟

أجاب «كاها» مشترطا:

– لابد من التعاون بيننا وبينكم.

بدا الشـرط مـدهشـا إذ لم يكن من المتـصـور على الاطلاق أن تتـعـاون الثعالب مع الأرانب لكن «كاها» لم يكن يمزح، وإنما كـان يعنى مـا يقـول، ويبطن ما يغرض. فقال «سيجى»:

– نحن موافقون يا سيدى.

ثم أضاف مستدركا بقوله:

– كيف نقيم التعاون فيما بيننا؟

أجـابه «كـاها» وهو يكشـر فى غموض، قائلا:

– تلك تفاصيل سوف نتطرق إليها فيما بعد.

ثم أردف بغطرسة قائلا:



بدت المفارقة صارخة إذ تتعهد الثعالب بحماية الأرانب فاستمر «كاها» يقول:
- لكن عليكم أن تتجمعوا لتتيسر لنا مهمة حمايتكم.
- سمعا وطاعة أيها السيد الكريم.
قالها «سيجى» متفائلا بفيض العطف الذى غمره به سيده.

●●●

وآب وفد الأرانب إلى العشيرة يبشرها بالصلح الذى سينشر السلام فى ربوع الغابة.
وتجمعت الأرانب فرحة مبتهجة لتسهل على الثعالب حمايتها.
ودارت الثعالب حول الأرانب فى دائرة واسعة النطاق وهى تكاد ترقص من فرط

واسـعـة النطاق وهى تكاد ترقص من فرط الغبطة ثم تقدمت مضيقة محيط الدائرة ببطء واحكام حـتـى حـاصـرت الأرانب المسالمة حصارا لا فكاك منه.
وبدأت الثـعـالب التـهـام الأرانب إلى أن أتت عليـهـا عن آخرها فلم يبق فى الغابة أرنب واحد.

●●●

إن الغـابـة لم تدم خـالصـة للثـعـالب اللصـة، فقـد تصدى لهـا غير الأرانب من السادة. ولكن لذلك قصة أخرى.
النشيد الذى ألقاه العصـفور المغرد «سو» وهو يشهد النهاية الفاجعة التى انتهت إليها الأرانب المسالمة

رأيت ذات يوم حثالة الأرانب
تسير فى حبور، تدنو من الثعالب
تسعى إلى الوئام
حمامة السلام
أقدامها تسير
قلوبها تطير
حتى أتت إليها
فسلمت عليها
فقالت الثعالب
يا أيها الأرانب
هيا اسمعوا وعوا
هيا تجمعوا
أرانب، أطاعت
ثعالبا قد جاعت
فما حصاد العاقبة



الغاية .. والوسيلة

انتـهت «مـارى» من مـهـامـهـا المنزليـة. واطمأنت على نظافة بيتها الصغير الأنيق الذى تحرص على تألقه دائما وتباهى به الجيران والأقارب والأصدقاء، وسقت الزهور اليانعة التى تهواها، وأطعمت العصافير الملونة التى تربيها والتى ألفت المكان إلى حد أنها لا تغادره إذا أطلقت حرة.

وبعـد ذلك، أعـدت «مـارى» لزوجـهـا



«جوزيف» الشواء الذى يعشقه والحلوى المثلجة التى يغرم بها. وعلى أحد أركان المائدة وضعت «مارى» طبق الفاكهة الذى يضم ثمرتين فقط من كل صنف ليسع ثمانية أصناف من فواكه الموسم. فبدا البيت جنة حقيقية بفضل الحورية الباهرة التى تشع السحر حيثما حلت شكلا وموضوعا.

وانتظرت الزوجة المخلصة أن يعود قرينها من العمل فى موعده فتستقبله معانقة كدأبها لكن الساعة دقت الثالثة بعد الظهر ولم يعد. وكأى إنسان يعرف قيمة الوقت لم تضع «مارى» لحظة واحدة سدى، فاتجهت إلى المكتبة لتقرأ قليلا، ثم انتابها الملل فلجأت إلى مرسمها الخاص لتبحث فى إبداعها الفنى التشكيلى عن متعة الخلق التى لا تقارن. ولما لا؟ أليست «مارى» - ككل البشر - خليفة الله فى الأرض؟

كانت قد بدأت رسم لوحة لمشهد الشروق الذى يغفل عنه أكثر الناس الذين يستغرقون فى تأمل الغروب. فقد كانت «مارى» تستيقظ فجر كل يوم لتنعم بفيض الأحاسيس التى يسخو بها البكور على مريديه.

لم يكن انشغالها بالرسم خالصا لوجه الفن وحده أو لمجرد التسلية



وشغل أوقات الفراغ فى غياب الزوج، فقد كانت «مارى» تبيع بعض لوحاتها بأثمان لا بأس بها، وتستطيع بما تكسبه منها أن تشترى لنفسها تلك اللزوميات النسائية التى لا تستغنى عنها امرأة كما تفاجىء زوجها من حين إلى حين بهدية لطيفة تقدمها إليه مع قبلة حانية.

ودقت الساعة الخامسة ولم يرجع «جوزيف» فبدأت «مارى» تشعر بالقلق. إن زوجها لا يطيق أن يتأخر عنها فماذا حدث؟

فى الخامسة والنصف، دق جرس الباب على غير العادة ففتحته «مارى» مسرعة لتجد



زوجها يرفع يدها إلى شفتيه. كان مبتهجا، فهدأت «مارى» نسبيا لكنها عاجلته مع ذلك بسؤالين دفعة واحدة قائلة:

- أين كنت؟ لماذا تأخرت؟

ابتسم «جوزيف» وهو يجيب قائلا:

- كنت افتتح التحضير لرحلة العمر.

ردت «مارى» بلهفة قائلة:

- هل تنوى اصطحابى فى رحلة؟

أجاب «جوزيف» باعتزاز:

- نعم ياعزيزتى.. رحلة غير تقليدية. رحلة إلى الجنة.

تساءلت «مارى» بدهشة:

- الجنة ماذا تقصد؟

قال جو - كما تدلله زوجته - موضحا:

- سنسافر إلى الغابة الشرقية.

ازدادت دهشة «مارى» وهى تقول بمرح:

- الغابة الشرقية. هل تريد اصطياد أسد؟

قال «جو» ضاحكا:

- حديقة الحيوان لديها ما يكفيها من الأسود، والمطلوب الآن أن آتيها بوعل.

أدركت «مارى» سر الرحلة العجيبة فقالت:

- يا لها من مغامرة جديرة



بالتروى.

قال «جو» بحزم:

- ليس فى الأمر مجال للتردد. إنهم يعرضون مبلغا طيبا.

لزمت «مارى» الصمت فواصل «جوزيف» حديثه يقول:

- المسألة ليست مادية بحتة بالطبع. فالرحلة فى ذاتها تجربة مثيرة آمل أن أفوز منها بكتاب أسجل فيه أحداثها.

تمتمت «مارى» كالحالمة:

- وينشر الكتاب ناشر شهير يدفع لنا نسبة مجزية من سعر الغلاف. وينجح الكتاب





فتشترى سيارة جديدة. وتكتب عنك الصحف، وتتحدث فى برامج الإذاعة والتليفزيون، سوف يسطع نجمك ككاتب أدب رحلات فى سماء المجتمع يا «جو».

انتشى «جوزيف» بتفاؤلها فعقب بقوله:

– ومن يدرى؟ ربما يتحول الكتاب إلى دراما مسموعة ومرئية وفيلم سينمائى يجوب العالم.

قالت «مارى»، وهى تتناول الطعام مع زوجها:

– ونقوم ببطولته معا. نؤدى فيه الدورين الأصليين اللذين قمنا بهما فى الرحلة الواقعية.

قال «جو» وقد استغرقته الأمانى العذبة:

– ولما لا؟ إن حسنك سوف يكتسح كل الممثلات المحترفات.

ردت «مارى» المجاملة وهى تقطع اللحم بسكينها فقالت:

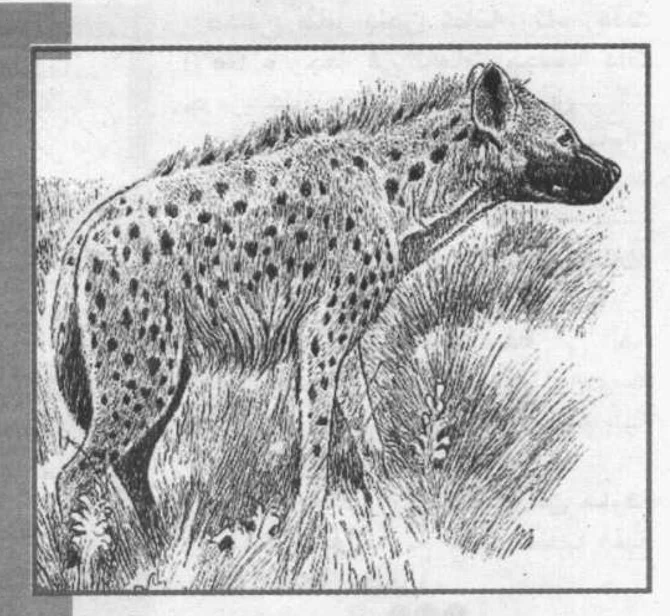
– ووسامتك سوف ترشحك بالتأكيد لبطولات لاحقة.

●●●

قال الوعل الشاب لأنثاه «تيتا» وهما يتجولان فى جنبات الغابة:

– الجو صحو لكن صدرى منقبض.

قالت «تيتا» وهى مشفقة عليه:



- لقد غادرت الضباع ديارنا فى طريقها إلى الجنوب. وكنت أظن أن ذلك سوف يبعث على ارتياحك، ويخفف من اضطرابك.

نظر الوعل إلى شجرة ضخمة نهشتها الحشرات الضئيلة حتى هوت على الأرض ميتة وقال:

- الضباع ليست هى عدونا الوحيد. فالأذى قد يلحق بنا من اضعف الحيوانات.

وسكت برهة كالمأخوذ ثم تابع قائلا:

- الغابة قاسية لا ترحم.

عقبت «تيتا» بقولها:

- مهما كان فهى وطننا.

صـدح طائر بلحن كـأنـه رثاء رددت الأصداء رجعه فى نغمات مجسمة ذات جرس جنائزى كئيب فقال الوعل:

- الوطن يعانى من أطماع الغرباء.

قالت «تيتا» مواسية:

- لن ينفعنا الحزن.

همهم الوعل وهو لا يكاد يبين قائلا:

- سأذهب غدا إلى..

لم يكمل عبارتـه فقد سقط فى الفخ الذى نصبـه «جـوزيف» بعناية وسط الأدغال، وأخفـاه بحيث لم ينتبه إليه الوعل الموعود بالأسر.

وحاول الوعل أن يتخلص من مأزقه بحركات عشوائية ثم غلبه التعب فقبع مرغما ينتظر مصيره.

●●●

دارت «تيتا» حول الشرك الخادع فلم تجد ثغرة تنفذ منها لتنقذ أليفها، واشتد كربها فأسرت إليـه ببضع كلمات فى غمغمـة تسرى عنه، ثم أسرعت إلى العشيرة بالنبأ المروع.

ووقفت الوعول تتشـاور فى طريقـة لنجدة الوعل المسكين فقال وعل مسن اسمه «بيتوثا»:

- إن لى خبرة قديمة بالشباك التى يصنعها البشر للإيقاع بنا. فقد تملصت من إحداها ذات ليلة شتاء.

فسأله وعل كهل يدعى «ريزة»:





– كيف كان ذلك ؟
أجاب «بيتوثا» باستعلاء:
ذلك لا يهم الآن. المهم أن نعجل بالتصرف.
قالت «تيتا» وهى لا تقوى على الوقوف:
– وما هو التصرف الذى تقترحه يا سيدى ؟
رد «بيتوثا» دون أن يتخلى عن لهجته المتعالية:
أن يستطلع بعضنا ذلك الفخ كى نستطيع أن نحدد وسيلة التعامل معه.
وأمنت الوعول على رأى «بيتوثا» فاصطحب ثلاثة منهامع «تيتا» إلى الفخ الذى وقع فيه

الوعل. الذى نال منه التعب حتى لم يعد يفكر فى النجاة.

قال «بيتوثا» للوعل بعطف صادق:

- تماسك يا ولدى. وعما قريب سوف نخرجك من هذه المحنة.

نظر الوعل إلى العجوز بعينين غائمتين كأنه لا يراه ولم يرد، فأوشك قلب «تيتا» أن ينشطر كمدا وغما. وقال «بيتوثا» لها وللوعول الثلاثة الموفدة معهما للاستطلاع:

- هيا بنا.

كان يتظاهر بالثبات لكن الكارثة كانت أكبر من كل تظاهر.

●●●

وتعددت اجتهادات الوعول، واحتدمت الخلافات بينها. وتسابقت فى اظهار حرص كل منها على تحرير الوعل. ثم تحولت المنافسات فى نجدة الأخ الأسير إلى منازعات، وتطورت المناقشات إلى مصادمات، وتناطحت الوعول، واشتبكت القرون.

ومالت الشمس إلى الغروب والوعول تتشاجر. ثم أسدل الليل ستاره على الغابة ومازالت الوعول تتشاحن، ولم يعد من المحتمل أن تتفق على كيفية النجدة التى تأخرت.

●●●

وفى الصباح، قال جو لـ«مارى»





وهما يرتديان ملابس الصيد:
- إن سحر الغابة يستعصى على الوصف.
فردت «مارى» وهى ترتدى حذاء رياضيا:
- سوف نرصع الكتاب بصور ناطقة.
قال «جو» وهو يتذوق الشاى الأخضر المعطر:
- نلتقطها معا، ونكتبه معا.
طوقته «مارى» بذراعيها قائلة:
- رائع. رائع. يا «جو».
وعندما خرج الزوجان أنعشهما الطقس المشبع برائحة الطبيعة فى أبهى تحلياتها فأقبلا إلى حيث وضع «جوزيف» الفخ ليجدا

بداخله الصيد الثمين.
هتفت «ماري» بفرحة طاغية قائلة:
- انظر. انظر يا «جـو» يا له من وعل جميل.
قال «جوزيف» باعتداد:
- لقـد حـالفنا التـوفـيق من المرة الأولى.
قالت «ماري» مهنئة:
- نجحنا يا «جو». نجحنا بتفوق. يا إلهي. هذا أسعد حدث في حياتي.
ثم تمالكت نفسـهـا قليـلا، وقـالت بأسى:
- لكنه يبـدو مـريضـا. إن عـينيـه تنضحان بالحزن كأنه يعاتبنا.
وفي تلك اللحظة اقتربت «تيتـا» من زوجها وهي تكاد تجن سخطا ويأسا. ودنت بفـمـهـا منه كـأنما تحـاول أن تقـبله. ثم نكست رأسـهـا لـ«جـوزيف» و«مـاري» تسـتـعطفـهـمـا. كـان لسـان حـالها أبلغ من قصيدة فذة لشاعرة عبقرية ترى حبيبها يضيع منها إلى الأبد ولا تستطيع الإبقاء عليه.

●●●

قالت «ماري» لـ«جوزيف» في تأثر:
- ألا يمكن أن نأخـــذ هذه الأنثى معه؟
أجاب «جوزيف» بضيق:
- لم يطلبوا شيئا كهذا.





قالت «مارى» متلطفة:
لكنها تتعذب لفراقه.
قال «جوزيف» باستخفاف:
- أتظنين أن لهذه الحيوانات ذاكرة؟
ثم رمق الوعلين البـائسين بنظرة باردة وهو يقول:
- سرعان ما تجد غيره وتنساه.
ولحظ أنها غير مقتنعة، فقال:
- إنها كائنات غير عاقلة تحركها الغريزة فحسب، لا دخل للعاطفة بمعناها الإنسانى فى حياتها.
قالت «مارى» وهى ترنو إلى زوجها.



- هل تعتقد ذلك؟

ثم انتقلت ببصرها إلى أنثى الوعل وتابعت حديثها لـ«جوزيف» قائلة:

- إن لإحدى صديقاتى قطة تمسح بيدها دموع هذه الصديقة حين تبكى، وتطيعها.

وربتت بيدها على «تيتا»، وهى تضيف قولها:

- أثبتت الكلاب أن وفاءها لا مثيل له بين البشر.

ظل «جوزيف» على سكوته، فقالت «مارى» متشبثة:

- انظر. إنها لم تحاول الهرب لأن الدافع المضاد لديها أقوى. أتظن بعد ذلك أنها مجرد مخلوقات لا تعى، ولا يحسب لشعورها أى حساب من الأساس؟

ثقب «جوزيف» جدار صمته بقوله:

- لقد جئنا فى مهمة محددة.

ثم أضاف فى نبرة لا تخلو من سخرية، قائلا:

- أما مسألة المحافظة على شمل الأسرة فليست من اختصاصنا.

قالت «مارى» بامتعاض:

- الإنسان عندما يستهدف الهدف لا يتجاهل تداعياته الجانبية. فالغاية الشخصية لا ينبغى لها أن تتحقق بإيذاء الغير.



رد «جـوزيف» وهو يشـيـر بيـديه منفعلا:

- الغـيـر. هل تعـتـبـرين هذه هى الغير؟

لم تجد «مارى» فائدة من الجدل.

●●●

أخذ «جوزيف» الوعل إلى حـديقـة الحيـوان فتلقاه أطباؤها البيطريون بعناية فائقة، لكنهم حـاروا فى أمـره فقد ظل منكسرا ذليلا لا ينطلق فى الحركة، ولا يقبل على الطعام.

تقـاضى «جـوزيف» المبلغ المتـفق

عليه، فاشترى لـ«ماري» هدية قيمة من الذهب تلفت مع مر الزمن.
وذات مساء جلست «ماري» مع زوجها يتبادلان الحديث في شرفة البيت فقالت له:
- متى ستبدأ إعداد كتاب عن رحلتنا إلى الغابة؟
أجاب «جوزيف» مبتسما:
- سأشرع في تنفيذه على الفور.
ثم توقف دقيقة، واستطرد يقول:
- المهم أن يكون السرد شيقا والصياغة جذابة.

●●●

وبينما كانت «ماري» تقود سيارتها الجديدة راحت «تيتا» تذرع الغابة ذهابا وجيئة دون أن يهدأ لها بال أو يقر لروحها قرار.
كان «جوزيف» يجلس إلى جوار زوجته في السيارة ويقول لها:
- إنني أملك العالم ما دمنا معا.
وكان الوعل لا يصارع الموت في حديقة الحيوان بل يدعوه ويرحب به.
وراحت الوعول المتنافرة تتجول في أرجاء الغابة بعد أن ظلت تتناقش وتتناقش وتتناقش.

